جدلية الكلام بين لسانيات النص وتداولية المعنى

المدرس الدكتور
مشكور حنون كاظم الطالقاني
جامعة كربلاء ـ كلية الإدارة والاقتصاد

المقدمة:

لقد حاولنا في هذا البحث أن ندرس موضوعا ذا أهمية واضحة في اللسانيات إذ يعد موضوع اللسانيات على الرغم من حداثة العناية به عند العرب من الدراسات المهمة عند اللغويين والباحثين.

لقد جاءت أهمية هذا البحث من خلال الإطلاع المتواصل في المؤلفات التي عني بها الباحثون من العرب. والأجانب.فهذه الدراسة تتناول اللغة والكلام والتفريق بين المعنى والقصد الذي يؤول إليه الكلام. وقد التزمنا المنهج الاستقرائي الوصفي. فبني البحث على مقدمة وتمهيد ومبحث واحد ثم خاتمة.

تناولنا في هذا المبحث المدارس اللسانية وأراء العلماء في اللغة ووظيفتها من خلال المناهج التي اتبعوها وأسسوا لها.لذا قسم البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة إذ تضمن الأول اللغة والكلام في اللسانيات، وتطرق الثاني ثنائية الدال والمدلول وثنائية المعنى، وتطرقت الخاتمة إلى أهم ما توصل إليه البحث.

التمهيد:

لقد التفت أكثر الباحثين والدارسين، إلى قضية لسانيات النص، وما تؤول إليه من ثنائيات، كثنائية الدال والمدلول، واللغة، والكلام. أضف إلى ذلك تصنيف الوظائف اللغوية عند العلماء بوصفها من وسائل التواصل الإنساني.

فقد كشفت ثنائيات دي سوسير، عن مجمل تصوره اللساني، إذ إنها ثنائيات رئيسة، أفادت منها المدارس اللسانية الحديثة.

لقد فرق دي سوسير بين اللغة والكلام؛ على أساس أن اللغة نظام اجتماعي، والكلام

أداء فردي؛ يتحقق من خلال هذا النظام، وإن هذا التميز عند دي سوسير، جعله يفرق بين المعنى والقصد، الأمر الذي دعا الدراسات التداولية، أن تفيد من ذلك التميز، فقد فرقت بين المعنى (الحرفي أو الدلالي) والقصد (المعنى لدى المتكلم).

إن ما يميز الدراسات اللسانية الوظيفية من غيرها من المدارس اللسانية، خروجها عن مبدأ دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، هذا المبدأ الذي أرساه دي سوسيروتابعه البنيويون في حين تجد وجهة النظر الوظيفية "صعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه، والوظيفية التي تؤديها تلك البنية في السياق"[١].

وعلى ذلك فإن اللغة من هذا المنطلق شيءخارج هذه الأطراف يتم التحكم بها وظيفتها عن طريق إرادة (المتكلم) المرسل. وسنتين ذلك كله من خلال البحث، إن شاء الله.

المبحث الأول

اللغة والكلام في اللسانيات

إذا ما عرفنا أن اللغة نظام اجتماعي، فهناك فرق بين هذه اللغة وبين الكلام وعندما نتأمل في تعريف دي سوسير يتضح انه تأثر بآراء (اميل دور كايم) التي نبه فيها اللغويون إلى فكرة (العامل الاجتماعي) إذ يمكن القول بأن تلك الفكرة قد غابت عن أذهانهم؛لذا فإنهم درسوا اللغة عبر الزمان والمكان وذهبوا إلى ربط ذلك بتطور مخارج الاصوات عند الافراد وتطور العقل البشري وقد نسوا أن هؤلاء الافراد يكونون وعيا جماعيا سابقا على وجود الفرد وباقيا بعده وهذا الوعي له قوة يفرضها على الفرد وقد بد أ هذا التحول في الرؤية مع (انطوان ماييه) الذي بين بأن اللغة حدث اجتماعي وهي نظام قائم على ضم الأجزاء بعضها إلى بعضها الآخر[٢]. وان هذا الحدث الاجتماعي من بين المعطيات التي اتخذتها التداولية في منطلقاتها ومفاهيمها الإجرائية[٣]. لقد كشفت ثنايات دي سوسير عن مجمل تصور اللساني فصارت هذه اللسانيات مبادى رئيسة افادت منها المدارس اللسانية الحديثة ولاسيما ثنائيتي: اللغة والكلام، والدال والمدلول.انتبه دي سوسير إلى شيء مهم هو التفريق بين اللغة والكلام، على ان اللغة نظام اجتماعي في حين ان الكلام يمكن ان يؤدي من الافراد اذ يتحقق من خلال هذا النظام ومن هنا فهو ميز بين لغة الجماعة المتكلمة التي

توجد في الوعي الكلامي لكل فرد وظاهرة الكلام الفردي الذي يعكس نموذج اللغة الذي يمتلكه كل فرد متكلم مستمع ضمن مجتمع لغوي متجانس[٥]. ان هذا التميز يقودنا إلى أن الكلام يتكون بـ"الاستخدام الفعلي للغة،أي ناتج النشاط الذي يقوم به مستخدم اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية كامنة في أذهان أفراد المجتمع"[٦].

من هذا الجانب فإن القول ينتمي إلى ثنائية اللغة والكلام، أي ينتمي إلى اللغة من حيث يفهم المتخاطبون ما يقوله المتكلم على أنه ينتمي إلى مجتمعهم اللغوي ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ويتحدث لغتهم،يتضح ذلك في التزام المتكلم بالقواعد اللغوية المتعارف عليها في لغته،هذا من زاوية،ومن زاوية أخرى ينتمي إلى الكلام من حيث تركيب المتكلم للقول على نحو يحكمه فيه قصده البلاغي، فضلا عن اختياره المفردات القواعدية واستثماره السياق لبيان قصده[٧].

والمتأمل جيدا في قول دي سوسير أن (دراسة اللغة في ذاتها ولاجل ذاتها)[٨] يجد أن دي سوسير قد دعا إلى التفريق بين ثنائية (شكل/مادة)وبين (شكل/مضمون) وهذا يعني أن اللغة تشكل مظهرا اجتماعيا للسان،في حين أن الكلام هو المظهر الفردي له[٩]. وهذا ما تبنته التداولية بوصفه معطى علميا في أطروحاتها؛ لذلك كان (كارناب) قد وصف التداولية بإنها ((قاعدة اللسانيات أو أساس لها))[١٠] وعلى ذلك فإن عمل اللغوي ينفتح بمجرد أن ينتهي من دراسة اللغة (البينية) على أبعاد نفسية و اجتماعية وثقافية للمتكلم والمخاطب والجماعة التي يجري فيها التواصل[١١].

وإذا كان دي سوسير ميز بين اللغة والكلام فهذا التميز جعله يفرق بين المعنى والقصد على الرغم من أنه لم يشر إلى ذلك بوضوح وهذا ما جعل الدراسات التداولية تفيد من ذلك التميز إذ إنها فرقت بين المعنى (الحرف أو الدلالي) والقصد المعنى (عند المتكلم) ولأجل إيضاح هذه الصورة نضرب مثالا يصور السياق اللغوي الاتي يقول أحمد لوالده: الحرارة شديدة اليوم فيقوم الوالد بفتح مروحة الغرفة ولعل الجالسين في الغرفة كلهم يدركون أن المعنى اللغوي لجملة احمد (الحرارة شديدة) الأخبار بشعور أحمد بحرارة الجو، في حين فهم والده أن أحمد يطلب منه بأسلوب مؤدب أن يفتح المروحة.

من ذلك الفهم يتبين أن معنى الحرارة شديدة على المستوى اللغوي هو غير ما يقصده

أحمد تماما بو صفه قولا مستعملا في هذا السياق تحديدا فالجانب اللغوي فيما قاله أحمد يتمثل باستعمال جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر تضمنت مقتضيات القواعد اللغوية (صرفية، نحوية)، أما الجانب الكلامي يتمثل في اختيار أحمد لهذا القول تحديدا من بين أقوال أخرى ممكنة مستثمرا السياق الخارجي الذي ساعد في اخراج المعنى اللغوي من الاخبار إلى الطلب من ذلك لا يمكن ان ندرك ما يقصده أحمد إلا حين استخدام العناصر الخارجية للغة التي هي:المتكلم والمستمع والسياق وبعبارة أخرى فإنه ربط الجملة بزمان ومكان ومخاطب ومقام تخاطبي وعلى ذلك فإن جملة (الحرارة شديدة) خرجت من خانة (خبر) اللغة إلى مجال الكلام الفعلي[١٣].

وعلى وفق ذلك دعا (بنفنيست) إلى جانب من جوانب الدراسات اللسانية بـ(لسانيات التلفظ) التي تحول الدراسة بموجبها من ثنائية اللغة والكلام إلى ثنائية الملفوظ وفعل التلفظ،أو القول في حد ذاته يعني الأفعال الكلامية بمفهوم أو ستنوسيرل[١٤].

المبحث الثاني

ثنائية الدال والمدلول وتداولية المعنى

لاشك أن هناك طبيعة علاقات بين الدال والمدلول تلك العلاقات قد وقف منها دي سوسير موقفا معارضاً؛ للاعتقاد السائد الذي كان يرى أن اللغة "ليست سوى قائمة أشياء مناسبة للأشياء الطبيعية"[١٥] إذ إن هذا الاعتقاد الذي يقول بتواضعية اللغة أكده دي سوسير حين ذهب إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية[١٦].

هذه العلاقة عند دي سوسيرتنطلق من أنها مبدأ أساس له أهمية كبيرة؛ لأنه لايتم على مستوى العلاقة بين الصوت والمعنى،انما يكون على مستوى الشكل النظام /الذي يمثل اللغة نفسها[١٧]. إلا ان حقيقة ذلك هو أن مبدأ الاعتباطية ((يرهن العلاقة بين الدال والمدلول في المواضعة الاجتماعية بينما تضحي العلاقة تلازميه بينهما، واستدعائية على محك الاستعمال اليومي للغة داخل الجماعة اللغوية))[١٨]. لذلك نجد ان (كارناب) يؤكد على ان كل اللسانيات تكون"تداولية مادامت تحيل على المتكلم وحتى على مفهوم القاعدة،بما ان كل قاعدة يوحدها الاستعمال"[١٩] حدد اللسانيون الوظيفيون اللغة على أنها نظام وظيفي يهدف إلى تحقيق التواصل والتعبير الذي تحمل فيه العناصر اللسانية شحنة إعلامية[٢٠]. وعلى هذا

المبدأ تكون اللغة عندهم نظاما من الوظائف يتمثل في الاتصال (كيفيته،ومناسبته،ولمن يوجه)، بغية تحقيق التفاهم المشترك بين المتخاطبين واللغة.كما ان الدقة عندهمأيضاحقيقة واقعية تتصل بعوامل خارجية، منها ما يتعلق بالسامع،والأخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الكلام[٢١].

تختلف اللسانيات الوظيفية عن غيرها من المدارس اللسانية بخروجها عن مبدأ دراسة اللغة في ذاتها ولذتها[٢٢]، ذلك المبدأ الذي دعا إليه دي سوسير ومؤيديه من البنيويين، في حين ان وجهة نظر اللسانية الوظيفية تجد" صعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه والوظيفية التي تؤديها البنية في السياق"[٢٣].

وقد نظر بعض العلماء إلى وظيفة اللغة بوصفها تفيد في قضية التواصل بين الافراد فهي عند ياكوبسن وسيلة للتواصل الإنساني بدء من المرسل ومرورا بترميز الرسالة، وارسالها إلى الطرف الآخر عبر قناة،من خلال ستة عناصر هي[٢٤].

١- المرسل: وهو الطرف الأول

٢- المرسل إليه: وهو الطرف الثاني.

٣- المرجع: وهو المحتوى الذي تشير إليه.

٤- القناة: وهو ما يسمح بنقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه.

٥- السنن: وهو مجموع العلامة التي تتشكل منها الرسالة ونظام تأليفها شرط أن تكون مفهومة لدى طرفي الرسالة.

٦- الرسالة:

وعلى ذلك ينظر ياكوبس إلى وظيفة اللغة بأنها شيء خارج عن هذه العناصر يمكن مسك زمامها من خلال ارادة المرسل (المتحدث)،ذلك هو السبب الذي يفسر به جعل كل عنصر من العناصر اعلاه مرجعا لتحديد وظيفة واحدة. ومن هذا المفهوم تكون للغة ست وظائف هي: (الوظيفية التعبيرية ، أو الانفعالية. والوظيفة إلايعازية أو الندائية والوظيفة المرجعية، ووظيفة إقامة الاتصال، ووظيفة ما فوق اللغة أو المعجمة والوظيفة الشعرية)[٢٥].

وهناك مْن اعتمد على تصنيف عناصر العلمية التواصلية ذاتها فصنفها على الشكل الآتي[٢٦].

١- وظائف معرفية ومرجعية تهتم بشكل ماله علاقة بمحتوى الخطاب كالإخبار والإحالة على الواقع المشترك.

٢- وظائف تداولية تهدف إلى طرفي المرسل للتعبير عن الذات والمرسل إليه)التاثير فيه)

٣- وظائف صورية هدفها شكل الرسالة وفعالية القناة وصلاحية الشعر

وجميع هذه الوظائف ناتجة من تصنيف عناصر التواصل بعد اختزالها في ثلاثة عناصر[٢٧].

١- عنصر خاص بالمرسل والمرسل إليه أي المسول عن انجاز الرسالة واستقبالها.

٢- عنصر يخص السياق أو المرجع وهو خاص بالمعرفة.

٣- عنصر يختص بالقناة والرسالة والشفرة.

وهنا يرى ليتش أن الوظائف اللغوية لها وجهة نظر وظيفية وقد أكد ذلك بقوله: ((تعد اللغة شكلا اتصالياً يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى،ليصبح كل ما يتعلق بالأهدافوالخطط والافتراضات والمقاصد من صميم هذه النظرية))[٢٨].

أما هاليدي فيرى من وجهة نظره ان الوظيفية التكاملية تعبر عن دور المتكلم في مقام الكلام وما يلزم به نفسه من قيم وأعراف عند التعامل مع الآخرين فيقول: (وهذه الوظيفية من وظائف اللغة هي التي تعين على تأسيس العلاقات الاجتماعية وترسيخها، وهي التي من خلالها تحدد الفئات الاجتماعية وتشكل وتقوى شخصية الفرد)[٢٩]. وهذا يعني ان اتصال الفرد يساعده في أن يعبر عن ذات نفسه وتطويرها كما حدد ثلاث وظائف أخرى لها شأن كبير في اداء المعنى وهي "الوظيفية التصورية، والوظيفية التعاملية،والوظيفية النصية"[٣٠] فيكون المعنى تصوريا؛لأن اللغة تجسد معرفة المرسل ويكون المعنى تعامليا بوصف اللغة شكلاً فعلياً ويكون المعنى نصيا من خلال علاقته[٣١].

وعلى ذلك يكون لكل وظيفية من هذه الوظائف الثلاث دور في النظام اللغوي في أداء المعنى كما يمكن القول ان الهدف من تصنيف هاليدي لهذه الوظائف هو اهتمامه بالعلاقات

التي يراعيها المرسل بالسياق الذي ينتجه فيه خطابه باستثمار نظام اللغة التي تقوم بالوظيفية التعاملية فضلا عن الاهتمام من خلال اللغة بتشكيل الخطاب لغويا؛ لذا فالوظيفية التعاملية هي التي تشكل الخطاب.

لقد ظهر من جهود العلماء وابحاثهم ما يعرف بـ(المنهج الوظيفي التواصلي) ليدرس اللغة وهي تؤدي وظيفيتها التواصلية التي تدرس اللغة وهي تتداول بين المتكلمين بها[٣٢].

وقد اثمرت جهود ثلاثة من فلاسفة اللغة العادية المنتمين إلى جامعة اكسفورد وهم أورستن و غرايسوسيرل في الكيفية التي تؤدي بها اللغة وظيفتها الابلاغية[٣٣] ومن ثم تبلورت مناقشات أورستن في جامعة هارفارد بدراسة (أفعال اللغة) ومن جهة نظر تحليلية[٣٤] متأثرة برؤية الوظيفين إلى وظائف اللغة فتنبه إلى دراسة بعض المقولات التي لا تصف شيئاً ولا تخبر عن شيء واستنتج أن للغة وظيفية أخرى هي وظيفية الانجاز وبذلك صار الاتجاه التداولي في دراسة استعمالات اللغة ذا اهمية من خلال الافعال الكلامية[٣٥].

تبوأ السياق مكانة مهمة في الدرس التداولي على الرغم من ان الاهتمام بالسياق "ليس وليد الاتجاه التداولي الحديث لكنه رافق الدرس اللغوي في مختلف العصور وربما عند مختلف المجتمعات[٣٦].

وقد تمثلت اللسانيات السياقية بجهود اللغوي الانكليزي روبرت فكان يرى أن المعنى علاقات موقفية في سياق الموقف[٣٧]. فقد أسس النظرية السياقية وشدد على دراسة السياقية (المواقفية للمعنى)[٣٨].

وبحسب النظرية السياقية عند فيرث، يفسر المعنى بوصفه وظيفة في السياق بدلا من تفسيره بوصفه علاقة بين اللفظ وما يحصل عليه في الخارج أو في الذهن من حقائق وأحداث[٣٩]. وبذلك يكون فيرث قد طور نظرية سياق الحال والاهتمام بالجانب الدلالي للغة الطبيعية على انها وسيلة تواصل اجتماعي فقد أسس رؤيته اللسانية على القضايا الآتية[٤٠].

١- البعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية في أساسها الثقافي التواصلي وهذا بمعنى قيام التحليل اللغوي على وصف العلاقة القائمة بين اللغة والاتساق الاجتماعية.

٢- التميز بين العلاقات النسقية الداخلية بمستوييها الركني والاستبدالي والعلاقة

السياقية الخارجية (الموقف).

وهذا يعني ان فيرث أسس منهجا جديدا في دراسة المعنى يراعي الاستعمالات الفعلية للغة وقد رأى ان الدلالة لا يمكن تحقيقها إلا إذا خرجت من حيز الوجود الوصفي إلى حيز الاستعمالي الفعلي وذلك امر لا يتحقق - حسب رأيه - إلا في سياق الموقف(٤١).

وإذا كان فيرث قد طور سياق الحال فإنه أثر بتلميذه هاليدي كثيرا بحيث أصبح منهج هاليدي في دراسة اللغة امتداد لمنهج أستاذه فيرث بل طوره وأكمله لا سيما نظريته الاجتماعية للغة في أغلب مستوياتها(٤٢) وهذا بلا شك أسس "افاقا جديدة"للبحث النصي وأعطى أهمية كبيرة في الدراسات اللسانية (....) لعنصر الساق والابعاد الوظيفية للغة وجهد السبيل للتوسع في الدراسات التخاطبية(٤٣). فتجلى منهجه في الدرس التداولي الذي يعني بدراسة المحادثة conversation وافعال الكلام speech والافتراظات ومناسبة الكلام(٤٤).

ومن اللسانين الذين أولو السياق أهمية وخاضوا فيه هو (باختين) وذلك في إطار توجه فكري ومعرفي فكان يرى "أن الفكر هو وليد الظروف العلمية والنظم المادية لحياة الافراد في محيطهم الاجتماعي والبيئة الحافلة بحياتهم العادية"(٤٥). ومن ذلك يكون فهم دلالة وحدة دالة،سواء كانت داخلية أو خارجية،يتطلب ربطها ربطا وثيقياً بجميع السياق في إنتاج اللغة،فالكلمة عنده تعني "نتاج التبادل الحي للقوى الاجتماعية"(٤٧)؛ لذا فإن دلالة الكلمة لا تحدد إلا بالساق الذي ترد فيه.

وعلى ذلك فإن علماء اللغة يتطلعون إلى فهم اللغة من خلال فهم الخطاب إذ لا يمكن فهم هذا الخطاب من دون معرفة نوايا المتكلمين، ومقاصدهم، ومعرفة المؤثرات السياقية فيما يقال؛ لذلك يرى تمام حسان أن فكرة السياق "هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أوالوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف التي تسود ساعة أداء المقال"(٤٩).

أما بلو مفيد فكان له جهد واضح في البحث اللساني فكان كتابه اللغة يشهد على ذلك. فقد عرض أفكار التي أهمها(٥٠).

١- اللغة سلوك إنساني مكتسب في البيئة.

٢- المنهج الآلي هو الأنسب لوصف ظاهرة الكلام من حيث هي انتاج من المثيرات تتبعها سلسلة من الاستجابات.

٣- الدعوة إلى علمية اللسانيات وشكلنتها على وفق الرؤية السلوكية.

٤- رفض إقحام العوامل غير الفيزيائية في وصف الحدث الكلامي مثل الروح، والعقل، والإرادة والحدث، لعدم قابليتها للاختبار لذلك فهو يرى عدم جواز الاعتقاد بإمكانية تفسير وقائع غامضة من خلال فرضيات فلسفية أكثر غموضاً منها والحقيقية الموجودة في هذه العمليات هي العمليات اللغوية فقط.

ومن تلك الأخطار التي جاء بها بلو مفيد لاسيما مبدأي المثير والاستجابة في علم السلوك فإن (مثير المتكلم) يطلق على الأحداث التي تسبق الكلام وتكون سببا في كلام المتكلم أما الأحداث التي تجيء بعد الكلام فهي (استجابة السامع) وعلى ذلك فإن الموقف الكلامي يتكون من[٥١].

- الأحداث العلمية السابقة لعلمية الكلام.

- الكلام.

- الأحداث التي تأتي بعد الكلام.

نفهم من ذلك أن بلو مفيد وجماعته من السلوكيين يستخدمون اللغة بوصفها خاضعة إلى " لنظرية المثير والاستجابة المعروفة في علم النفس فالمثيرات العلمية تؤدي إلى استجابات لغوية وتلك الاستجابات قد تكون مثيرات لغوية تؤدي إلى استجابات أخرى وهلم جرا"[٥٢].

وعلى هذا الأساس يعرف بلومفيد معنى المبنى اللغوي بأنه "الموقف الذي ينطق به المتكلم ذلك المبنى والاستجابة التي يحدثها في السامع"[٥٣].

بالمعنى به: شخصية المتكلم والاختلاف بين متكلم وآخر في المؤهلات العقلية أمر يحول دون التنبؤ بما يقوله المتكلم.وبناء على وجهة النظر السلوكية هذه في استعمال اللغة فإن المعان "يتم تعلمها بارتباطها بالمواقف المتنوعة التي تستعمل فيها اللغة"[٥٤].

إذن كان بلومفيد يفسر السلوك اللغوي على فكرة الارتباط الشرطي بين (المثير

والاستجابة) إلا أن نعوم تشومسكي صاحب المدرسة التوليدية يفسره في ضوء فكرة الدافع الحر المتحدد[٥٥]. وهذا ما جعله زعيما للمدرسة اللغوية في امريكا حتى أنشا (نظرية النحو التوليدي التحويلي) وفكره هذه النظرية "سمة الانتاجية في اللغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلم ان يولف جملا جديدة غير متناهية ويفهما،لم يسبق له ان سمعها من قبل"[٥٦].

أسس تشو مسكي نظرية النحو التوليدي فكان ذلك على مرحلتين هما مرحلة البنى التركيبة ومرحلة النظرية اللسانية النموذجية، ففي المرحلة الأولى ميز تشو مسكي بين مظهرين للغة، المظهر الأول:هو المظهر الموجود فعلا على هيأة جملة ما ينطق بها المتكلم وسماه بالبنية السطحية.

أما المظهر الثاني: فهو ما لم يظهر تحت هذا السطح اللغوي من علاقات منطقية بين عناصر مكونة لهذه الجملة سماها البنية العميقة[٥٧]. وعلى ذلك فإن الجملة التي تشتمل على بنيتين تتمثل بشكلها وصورتها اللغوية التي جاءت عليها وهي بالوقت ذاته تتضمن بنية عميقة وهذه البنية العميقة هي جملة متضمنة تمثل "المرجع الذي يعود إليه المتكلم والسامع"[٥٨]. وهذا ما جرى عليه التوليديون في افتراض بنى عميقة للائتلافات اللغوية يحكمها منطق اللغة الذي يرثه متكلموها[٥٩]. وبذلك فإن مهمة القواعد التوليدية تكون "تحويل عدد كبير من الجمل انطلاقا من البنية العميقة نحو بنيات متوسطة وسطحية متعددة، وبعبارة أبسط وظيفتها الربط بين البنية السطحية والبنية العميقة"[٦٠].

لقد ميز التحويلي ونبين الظاهر والحقيقة لواقع الحياة اللغوية فالظاهر يعني الأداء، والحقيقة هي تلك المعرفة القبلية، أي كما يسميها أصحاب النظرية - إنه التمييز بين التركيب السطحي للجملة والتركيب العميق لها، وبهذا المعنى فإن " التركيب العميق للجملة هو الكشف عن نسق القواعد اللغوية النابعة من ذات المتكلم أو من المقدرة اللغوية الفطرية"[٦١] وبحسب تشومسكي في التميز بين التركيب العميق والتركيب السطحي للجملة "إن الأول هو الخفي الذي يحدد التفسير السيمانطيقي للجملة بينما الأخر هو التركيب السطحي للوحدات التي تحدد التفسير الصوتي والصورة الفيزيائية للجملة"[٦٢].

أما في المرحلة الثانية (النظرية اللسانية النموذجية). فقد ميز تشومسكي بين جانبين أساسيين من الظاهرة اللغوية هما الكفاءة والأداء. ففي الكفاءة يقول تشو مسكي: "ان نظام

قواعد لغة ما يعكس الذخيرة المحدودة الاعتباطية للمقولات الملحوظة إلى مجموعة يفرض فيها أن تكون غير محدودة من المقولات القواعدية فنظام القواعد بهذا المفهوم يعكس سلوك المتكلم الذي يستطيع إسناده إلى خبرته المحدودة أن ينتج أو يفهم محددا غير محدود من الجمل الجديدة(٦٣). وقد وصف هذه الفكرة بالقدرة الابداعية وهذه القدرة هي الفكرة الأساس التي انبني عليها النحو التوليدي التحويلي فصار الاتجاه توليديا يبحث في إمكانية توليد جمل اعتمادا على امكانية اللغة. وبهذا المعنى تصبح الكفاءة اللغوية قدرة المتكلم المستمع على انتاج الجمل وتفهمهما في عملية إنتاج الكلام، وهي أيضا مجموعة القواعد التي يمتلكها المتكلم وتمكنه من بناء الجمل، يعني هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة القائمة في ذهن المتكلم"(٦٤).

يتضح من ذلك أن حدس المتكلم المستمع المثالي هو العامل الأساس الذي يمكن به تمييز الجمل المقبولة من غير المقبولة، فهو الذي بوساطته يمكن دراسة الكفاءة اللغوية"(٦٥).

أما فيما يتعلق بالأداء فهو "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"(٦٦).

ومن هذا كله نستنتج أن الكفاءة اللغوية هي القدرة الضمنية لها، أي للغة،أما الأداء الكلامي فهو الانجاز الفعلي لهذه القدرة وهذا يعني أن الكفاءة اللغوية هي المعرفة الحدسية للمتكلم والسامع بلغتهما " وهذه المعرفة هي التي تمنحهما القدرة على إنتاج أو فهم عدد لا متناه من الجمل النحوية من خلال عدد متناه من القواعد"(٦٧)، وإن الأداء الكلامي هو "الاستخدام الفعلي للغة في المواقف الحية"(٦٨).

الخاتمة:

كانت صحبتنا مع هذا البحث تتمثل في الاطار الذي انبثق منه الجهاز المفاهيمي للغة والكلام، والتفريق بينهما، وما يؤول إليه في التفريق بين المعنى والقصد، مما دعا التداولية إلى أن تفيد من ذلك التمييز بين المعنى الحرفي، وبين ما يقصده المتكلم.

وبعد أن نضج البحث، تمخض عن جملة من النتائج، نذكر منها:وبعد أن نضج البحث، تمخض عن جملة من النتائج، نذكر منها:

١- إن الكلام في الثنائية التي جاء بها دي سوسير يشير إلى نتائج الاستخدام الفعلي

للغة وليس لعملية الاستخدام نفسها، مما يجعل من مفهوم الاستخدام مفهوما جامدا، يتساوق مع مفهومه للغة من حيث إنها نظام من العلامات.

٢- إن الكفاءة عند تشومسكي، تعني التمكن من اللغة- بوصفها نظاما لاسلوكا- المخزونة في ذهن المتكلم على سليقته بها. في حين يرى أن الأداء هو الاستخدام الفعلي للغة.

٣- يمكن القول: أن ما يميز الوظيفيين ممن سبقهم من البنيويين، لاسيما دي سوسير واتباعه، عدم الفصل بين البنى اللغوية ووظائفها، فضلا عن عدم امكانية عزل اللغة عن نسيجها الاجتماعي، واغفال الفرق بين اللغة والكلام، والتشديد على التفاعل بين البنية والسياق.

٤- تعد نظرية فيرث نقلة ابستمولوجية كبيرة، في حقل اللسانيات؛ لأنها دعمت الموقف السلوكي في الذهاب إلى صعوبة البحث الدلالي المعتمد على المنطق. فضلا عن أنها فتحت الباب واسعا نحو نهج جديد في دراسة المعنى على نحو يراعي الاستخدامات الفعلية للغة.

٥- تتميز المدرسة الوظيفية من غيرها من المدارس اللسانية باعتقادها أن البنى الصياتية، والقواعدية، والدلالية؛ محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها؛ وهذا خروج عن المبدأ الذي جاء به دي سوسير.

٦- ينبغي دراسة البنى اللغوية في حد ذاتها بغض الظر عن العناصر الخارجة عن اللغة، بوصفها نظاما مجردا مستقلا.

٧- إن الفكرة الرئيسة التي توجه المنهج التوليدي، هي سمة الإنتاجية في اللغة التي بمقتضاها يمكن للمتكلم أن يؤلف، ويفهم جملا جديدة لم يكن سمعها من قبل.

Abstract:

I've turned more researchers and scholars, to the issue of text linguistics, and what devolves to him by binaries, Ktnaiah signifier and signified, language and speech. Add to that the linguistic classification of jobs when scientists as a means of human communication.

It has revealed binaries de Saussure, for the overall conceivable lingual, as it binaries head, according to which modern linguistic school.

De Saussure between language and speech have teams; on the grounds that the language social system, speech individual performance; achieved through this system, though this distinction when de Saussure, make a distinction between the meaning and intent, which is called deliberative studies, the benefit of that excellence, It was dispersed between meaning (literal or semantic) and intent (meaning the speaker).

What distinguishes linguistic studies functional than other linguistic schools, graduating from the principle of language study in itself and itself, this principle established by de Saussure and followed structuralists while find a job considered "difficult separation between the linguistic structure and context in which it operates, and the job performed by those infrastructure in context.

Thus, the language in this sense nothing outside of these parties are controlled and functionally by the will of the (speaker) sender. And two years all this through research, God willing.

هوامش البحث

(١) ينظر:اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٦٩-٧٠

(٢) ينظر: م ن:٦٩

(٣) ينظر: التداولية من أستن إلى غوفمان: ٦٤

(٤) ينظر: علم اللغة العام: ٢٣ - ٣٣.

(٥) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٣٧.

(٦) مدخل إلى اللسانيات محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديد،ط، لبيا ٢٠٠٤،٥٣.

(٧) ينظر: م ن:٥٤
(٨) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٧٣.
(٩) المعنى وظلال المعنى: ٧٠.
(١٠) المنهج التداولي في مقاربة الخطاب: ١٢٤.
(١١) ينظر: م ن: ١٢٤
(١٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٥٤ – ٥٥
(١٣) ينظر: م ن: ٥٥
(١٤) ينظر: المنهج التداولي مقاربة الخطاب١٢٤.
(١٥) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٧٤
(١٦) ينظر علم اللغة العام:٨٦.
(١٧) ينظر اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة:٨٦.
(١٨) م ن: ٧٦
(١٩) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٤٥
(٢٠) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٨٦
(٢١) ينظر: م ن، : ٨٦
(٢٢) مد خل إلى علم اللغة: ٧٠
(٢٣) م ن: ٧٠
(٢٤) ينظر: قضايا الشعرية، ياكوبسن، تر، محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال المغرب، ١٩٨٨، ٣٠
(٢٥) ينظر: م ن: ٣٣
(٢٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية:١٣
(٢٧) ينظر: م ن:١٣ – ١٤
(٢٨) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ١٤
(٢٩) في النص الأدبي دراسة اسلوبية احصائية، سعد مصلوح، ط١، جدة، ١٩٩١، ٥٠
(٣٠) م ن: ٥٠
(٣١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ١٥
(٣٢) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٤٧
(٣٣) ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩
(٣٤) ينظر: التداولية اليوم، علم جديدة في التواصل: ٣٢
(٣٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية:١٨
(٣٦) سياق التلفظ وقيمته في تحليل الخطاب تعميما والخطاب السردي: ٤٦٠
(٣٧) المعنى وضلال المعنى:١١٣

(٣٨) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس (بحث): ٣٧
(٣٩) مدخل إلى اللسانيات:٧٨
(٤٠) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٢٠
(٤١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٧٢
(٤٢) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس (بحث): ٣٧
(٤٣) ينظر: مدخل اللسانيات: ٨١
(٤٤) ينظر: م ن: ٨١
(٤٥) ينظر: التداولية الثالث في سيمو طيقا موريس (بحث):٣٧
(٤٦) نقلاً عن سياق التلفظ وقيمته في تحليل الخطاب: ٤٧
(٤٧) نقلاً عن المصدر نفسه: ٤٧
(٤٨) نقلاً عن م ن: ٤٨
(٤٩) اللغة العربية ومبناها، تمام حسان، لهيأه العصرية العامة للكتاب، القاهرة / ١٩٧٩: ٣٣٧
(٥٠) ينظر:اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٢٧
(٥١) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ١١٤
(٥٢) م ن: ١١٥
(٥٣) م ن: ١١٥
(٥٤) م ن:١١٦
(٥٥) ينظر:انفتاح النص اللساني، د. محي الدين محسب، دار الكتب الجديد المتحدة، ط١، لبيا ٢٠٠٨، ١٠١.
(٥٦) ينظر: انفتاح النسق اللساني: ١١٠
(٥٧) م ن: ١١٢
(٥٨) مدخل اللسانيات: ٨٦- ٨٧
(٥٩) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٤٥
(٦٠) في فلسفة اللغة: ١٤٣
(٦١) اللسانيات واتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٤٤
(٦٢) البنى النحوية: ١٩.
(٦٣) ينظر قضايا السنية تطبيقية، ميشال زكريا، دار العلم للملا بين، بيروت، ١٩٩٣،٦١.
(٦٤) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٤٨
(٦٥) م ن : ١٤٩

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- قضايا الشعرية، ياكوبسن، ترجمة: محمد الوليومباركحنون،دار توبقال للنشر، ط١، المغرب، ١٩٨٨.

٣- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط١، اربد، الأردن، ٢٠٠٩.:

٤- التداولية من أستن إلى غوفمان، تر؛ صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط١، سورية،٢٠٠٧.

٥: علم اللغة العام، فردينان دي سوسير،تر؛ يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٨.

٦- مدخل إلى اللسانيات محمد محمد يونس علي،دار الكتب الجديد،ط،ليبيا

٧- المعنى وظلال المعنى،د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي،ط٢، ليبيا، ٢٠٠٧.

٨- المنهج التداولي في مقاربة الخطاب، نواري سعودي أبو زيد، مجلة فصول، ع٧٧،الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.

٩- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،عبد الهادي بن ظافر الشهيري،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

١٠- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، الجزائر ٢٠٠٨.

١١-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر،٢٠٠٦.

١٢- التداولية اليوم، علم جديد في التواصل،آن روبول وجاك موشلار، تر: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة،ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

١٣- سياق التلفظ وقيمته في تحليل الخطاب، محمد الناصر العجيمي، مجلة فصول، القاهرة، ع٦٢، ٢٠٠٣.

١٤- التداولية البعد الثالث في سيموطيقاموريس، د. عيد بليغ، مجلة فصول، ع٦٦، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٥- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان،الهيأة العصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.

١٦- انفتاح النص اللساني،د. محي الدين محسب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ليبيا، ٢٠.

١٧- في فلسفة اللغة، د. محمود فهمي زيدان،دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت).

١٨- البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترء؛د. يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.

١٩- قضايا السنية تطبيقية، ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣.